

يعتبر الأدب جسرا راسخا تلتقي فيه الثقافات المختلفة ، حيث يمكن أن يتم من خلاله التعرف على مظاهر الحياة المتنوعة للشعوب سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، بالإضافة إلى التعرف على تقاليدها وعاداتها . فالأدب مرآة حقيقية تعكس حياة الشعوب متضمنة مدى تقدمها وازدهارها أو مدى تأخرها واضمحلالها ، وهو - أيضا - يساعد على تبادل الفكر بين شعوب العالم في مختلف بقاع الأرض ، ولا جدال في أن تلاقي الثقافات القديمة من يونانية ورومانية وهندية وعربية إسلامية وما تم فيها بينها من أخذ وعطاء ، انعكس في آداب الكثير من الشعوب على مر العصور لثراء مضمون هذه الثقافات وسعة معيها ولا تزال بصماتها ظاهرة بشكل واضح في أعمال الأدباء والفنانين ، وستبقى تلك البصمات طالما بقي الإنسان في محاولته للخلق والابداع .

وللثقافة العربية دور مهم في تطور الآداب الأوربية الغربية بجانب الآداب الشرقية ، في نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر . وتمتد جذور الثقافة العربية التي أثرت في الآداب الأوربية إلى الإنجيل والقرآن من ناحية ، وإلى الشعر والنثر العربي بكل ضروبه ولا سيما موضوعات مجنون ليل وعنترة بن شداد وألف ليلة وليلة وغيرها من ناحية أخرى . كما أن تأثير الحضارة العربية الإسلامية قد تغلغل في مناطق كثيرة مع الفتح الإسلامي.. وما صاحبه من نشر لمقومات الثقافة العربية ولغة العرب .

وكانت قصص الليالي بالنسبة لبعض المستشرقين من بينهم سينكوفسكي وكذلك لكبار كتاب روسيا في القرن التاسع عشر أمثال كريلوف وجوكوفسكي وبوشكين وتورجينف وتشرنيشفسكي وليف تالستوي مصدرا لبعض مؤلفاتهم حيث أمسكهم بعالم وأسر من الشخصيات والحوادث والمناظر .

تأثير ألف ليلة وليلة على الآداب الروسية في القرن التاسع عشر

دراسة تحليلية لبعض الأعمال الأدبية عند أ. كريلوف (ل. ن. تالستوي)

نادية سلطان

حسين حينما قال « هذا الكتاب الذي خلب عقول الأجيال في الشرق والغرب قرونا طويلا ، والذي نظر الشرق إليه على أنه متعة وهو وتسلية ، ونظر الغرب إليه على أنه كذلك متعة وهو وتسلية ولكن على أنه بعد ذلك خليق أن يكون موضوعا صالحا للبحث المنتج والدرس الخصب »^(٤) لما يتضمنه المؤلف ، كما نعتقد ، من موضوعات ذات اتجاه ديني وأخلاقي وتاريخي ، هذا بجانب النقد الاجتماعي .

وقبل أن نتعرف روسيا القيصرية على مؤلف « ألف ليلة وليلة » وصلت إليها نماذج من القصص العربي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر عن طريق الدولة البيزنطية . إذ كان لها الفضل العظيم في تصدير الثقافة المترجمة إلى روسيا القديمة ، وذلك بالإضافة إلى الهجمات المتبادلة بين القبائل التركية وقوات الأمراء الروس في ذلك الوقت ، أضف إلى ذلك أن لأوروبا التي تأثرت بالأدب العربي دوراً لا بأس به في نقل تلك الآداب إلى روسيا والتي انتقلت إلى أوروبا الغربية عن طريق الأندلس إذ كانت همزة الوصل بين الشرق وأوروبا ولا ننسى في هذا المقام دور بلاد القوقاز وآسيا الوسطى التي تأثرت بالحضارة العربية الإسلامية ، والتي نقلتها بالتالي إلى الدولة الروسية ، ومن ناحية أخرى قام عدد من الرحالة الروس بنقل أخبار متفرقة عن بلاد الشرق والمغرب العربي في نواحٍ متعددة ، إلا أنها لم تكن ذات تأثير فعال أو جديرة بالاهتمام لدى القارىء الروسي العادي . وما أن حل القرن الثامن عشر وفي عهد بطرس الأول - عصر الانفتاح العلمي والثقافي والاقتصادي - حتى بدأ الاهتمام باللغة العربية حيث أنشئت أقسام

ويجدر بنا أن نلقي الضوء على تأثير بعض الأدباء الروس في القرن التاسع عشر « بألف ليلة وليلة » من خلال التحليل الفني لعدد من مؤلفاتهم ، وتحديد أوجه التأثير سواء كان هذا التفاعل مباشراً أو غير مباشر باستخدام الشعر الغنائي الرقيق ، والأسلوب الشرقي المنمق ، والخيال والهجاء ، والسخرية التي تهدف إلى تهذيب الصغار والكبار على السواء ، وكذلك عالم السحر الخارق والبلذخ الشرقي بوجه عام وبساطة الشرق وسحر لياليه . الواقع أن « ألف ليلة وليلة » قد أثرت على عديد من الكتاب الغربيين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، جوته وشيللر في ألمانيا ، وشينيه وفولتير في فرنسا ، وبايرون الذي لم يكن الوحيد من بين هؤلاء الكتاب الإنجليز الذين قرأوا « ألف ليلة وليلة » بهم وقد أفصح عن ذلك قائلاً « لقد قرأت « ألف ليلة وليلة » دون أن أبلغ العاشرة من العمر »^(١) . أما والتر سكوت فأكد أنه « يعرف القليل عن الشرق ، إذ لم يضع في الحسبان ذكريات طفولته عن قصص ألف ليلة وليلة »^(٢) أما الشاعر أ. تينسون فكان من أبرز الأبطال المفضلين لديه شخصية هارون الرشيد تلك التي أوجت له بقصيدة « ذكريات ألف ليلة وليلة » . كما أثرت « ألف ليلة وليلة » في أدب الأطفال - أيضاً - فهي هوانز أندرسون الدانمركي كاتب قصص الأطفال ، والتي ترجمت مؤلفاته إلى كثير من لغات أوربا يقول عنه مؤرخوه أن « أدبه نبع مما كان يقصه عليه أبوه . ومما قرأه في ألف ليلة وليلة »^(٣) .

بيد أن مؤلف « ألف ليلة وليلة » اعتبر في بادئ الأمر كمادة للتسلية والتشويق وقد عبر عن ذلك الدكتور طه

(١) أ. م. كاتارسكي . « الموثقات الشرقية في الأدب الإنجليزي في القرن التاسع عشر » . مجلة شعوب آسيا والريفيا ، موسكو ، العدد ٣ ، ١٩٧٤ ، ص ١٠١ .
(باللغة الروسية)

(٢) المرجع السابق . ص ١٠١ .

(٣) سهر القلماوي . « ألف ليلة وليلة » ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦ ، الطبعة الرابعة ، ص ٦٩ .

(٤) المرجع السابق . ص ٨٠ .

القرن الثامن عشر العديد من القصص العربية والمترجمة من اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية ومنها على سبيل المثال : « الغصن الذهبي » ١٧٨٢م وقصة « الأمير العربي شهير أو مملكة الحب » ١٧٨٤م وغيرها كثيرة وكان لهذا كله أهمية خاصة لدى الكتاب والقراء على السواء ، حيث تهدف إلى التذوق الفني والفهم والإدراك والعاطفة .

وبما هو معروف أن أوروبا قد تعرفت على مؤلف « ألف ليلة وليلة » عن طريق الترجمة التي قام بها أنطون جالان الفرنسي (١٦٤٦م - ١٧١٥م) في عام ١٧٠٤م - ١٧٠٧م حيث من المعروف أنه منذ ذلك الوقت أصبحت « ألف ليلة وليلة » الكتاب المفضل في أوروبا والجدير بالإشارة أن ترجمة جالان لم تكن كاملة وكانت تضم اثني عشر جزءاً . أما الترجمة الأولى باللغة الروسية لمؤلف « ألف ليلة وليلة » فقد قام بترجمته فيلاتاف في موسكو وعلى مدى ثمانية أعوام (١٧٦٣م - ١٧٧١م) عن اللغة الفرنسية . وظهرت طبعة أخرى في سماليينسك عام ١٧٩٦م . ونتيجة للنجاحات التي أحرزها المؤلف حيث أنه لم يلق الاهتمام لدى الأدباء فحسب ، بل لدى القراء - أيضاً - إذ تكالب القراء على شرائه للاستمتاع بقصصه وحكاياته وقد أشار أحد النقاد إلى أن القراء كانوا يفضلون مؤلف « ألف ليلة وليلة » على المؤلفات الأدبية الأخرى وقد أبدى بعض الكتاب شكواهم من عدم شراء العامة لكتبهم مما سيؤدي ذلك إلى موتهم جوعاً . وهذا مما أدى إلى طبع ترجمة فيلاتاف لمؤلف « ألف ليلة وليلة » أربع مرات على مدى أربعين عاماً : ١٧٦٣م ، (١٧٧٦م - ١٧٨٤م) ١٧٨٩م ، ١٧٩٦م ، ١٨٠٣ . وقد قام بترجمة « ألف ليلة وليلة » من الأصل العربي إلى اللغة الروسية م. أ. ساليه في عام

الاستشراق في الجامعات والمعاهد المختلفة إذ اهتم القيصر بطرس الأول بضرورة التعرف على اللغات الشرقية ، ومن بينها اللغة العربية والتركية وذلك لحروبه المستمرة مع تركيا للخروج إلى البحر الأسود . وفي عهده أنشئت أول مطبعة بالحروف العربية عام ١٧٢٢م وقد أشرف عليها ديمتري كانتيمير . وكان بطرس الأول قد أصدر قراراً عام ١٧١٦م بضرورة ترجمة القرآن الكريم كاملاً وقد تم ذلك نقلاً عن الترجمة الفرنسية التي قام بها دي ريبه على يد باسينكوف ويقول المستشرق الروسي كراتشكوتسكي « والحق يقال أن القرآن وألف ليلة وليلة كانا بمثابة الآثار العظيمة للأدب العربي التي استطاع أجدادنا التعرف عليها في القرن الثامن عشر »^(٥).

وكان لظهور العديد من المقالات في الصحف الروسية القديمة التي تتحدث عن الثقافة والحضارة العربية أثر كبير في تذوق القارئ للمؤلفات ذات الأصل العربي . ففي المجلة المسماة « التسلية المفيدة » تحدث م. خيراسكوف في مقال له بعنوان « قرص الشعر العربي عام ١٧٦٢م ذكر فيها خصائص الشعر العربي وصلته بهارون الرشيد حيث جاء فيها أن « الشعر الوصفي والعاطفي كان معروفاً لدى العرب في عهد الخليفة هارون الرشيد الذي اهتم بالعلوم والفنون المفيدة والضرورية ، وأحل الثقافة والتعليم وكان يقرص الشعر معاصراً للملك شارل العظيم^(٦) وفي صحيفة « الشفاء من الملل » نشر مقال بعنوان « إلى الملك العظيم شارل المعاصر هارون الرشيد » وفي صحيفة « قضاء وقت تمتع ومفيد » عام ١٧٧٩م تضمنت بعض النوادر التاريخية التي ترتبط بصورة أو بأخرى باسم هارون الرشيد وأسرة البرامكة وكذلك بعصر الخلافة في بغداد . وبالإضافة إلى هذا ظهر في النصف الثاني من

(٥) أ. ي. . كراتشكوتسكي « مقالات عن تاريخ العرب في روسيا » ، موسكو - ليننجراد ، ١٩٥٠ ، ص ٥٤ . (باللغة الروسية) .

(٦) المرجع السابق ، ص ٦٦ .

١٩٢٩م - ١٩٣٩م . وقد كانت هناك محاولة لترجمة « ألف ليلة وليلة » من الأصل العربي على يد أ. ن. جوسيف (١٨١٠م - ١٨٣٥) تلميذ المستشرق الروسي سينكوفسكي والذي كان قد تخرج في عام ١٨٣٢م ولكنه توفي في القاهرة دون أن يبلغ من العمر الخامسة والعشرين . وعن فترة وجوده في الشرق لمدة ثلاث سنوات كتب وصفا لرحلاته والتي تعرف عليها القراء^(٧).

إن معظم الأوربيين عامة والأدباء خاصة قرأوا ومازالوا يقرأون في سنوات الطفولة مؤلف « ألف ليلة وليلة » لأنه يعتبر بحق مثل صندوق الدنيا حيث يربط عالم الخيال والسحر بعالم الإنسان بطريقة مبتكرة وغير مألوفة ، كما أنه غني بالحكايات الطريفة المرتبطة بحياة طبقات مختلفة من الشعب والمليئة بالمغامرات والأعمال البطولية .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كتاب « ألف ليلة وليلة » كان يدرس ضمن المواد التي كانت تدرس في معهد الاستشراق بجامعة بطرسبورج عام ١٨١٦م .

اهتم المستشرقون الروس بنشأة وأصل « ألف ليلة وليلة » . ففي بادئ الأمر كان فريق يعتقد أنها ذات أصل فارسي - هندي وآخرون يؤكدون أنها عربية الأصل كما أكدوا أن تأليف الأثر ينتسب إلى مؤلف واحد ثم تغيرت هذه الفكرة وأصبح الرأي السائد الآن بين كثير من العلماء المستشرقين انها ذات أصل فارسي - هندي ، بغدادي ، مصري وقد أيد هذا الرأي كل من أ. ي. كرميسكي^(٨) ، أ. م. فلشتينسكي^(٩) . وهم يعتبرون أن الذي قام بتأليف « ألف ليلة وليلة » أكثر من

مؤلف ، وقد تم وضعه خلال سنوات طويلة شملت كثيرا من الإضافات والتغييرات . وقد تم ترجمة « ألف ليلة وليلة » عن المؤلف الفارسي « ألف حكاية لوزار إفسان » الذي كان يضم حكايات فارسية - هندية ترجمت إلى اللغة العربية في القرن التاسع الميلادي ثم أضيف إليه عديد من الحكايات تصور حياة الخلافة ببغداد في القرنين التاسع - والعاشر ، وضمت كذلك قصصا عن مغامرات سندباد وأهم ما فيها أنها ترتبط بالبيئة الاجتماعية . وفي القرن الثاني عشر انتقلت « ألف ليلة وليلة » إلى مصر وأصبحت أكثر رواجاً في عصر المماليك في الفترة ما بين القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر وقد أضيف إلى الأثر قصص مرتبطة بالتاريخ المصري القديم وموضوعات تتعلق بالتعاونيد والختام السحري والمصباح السحري . ومنذ الغزو العثماني لمصر عام ١٥١٧م زاد عدد الليالي وتم تدوين « ألف ليلة وليلة » في القرن السابع عشر .

ونود الإشارة هنا إلى أن الموسوعة الأدبية الروسية^(١٠) قد تضمنت معلومات عن أصل « ألف ليلة وليلة » ، هذا الموضوع الذي كان محورا لعديد من الأبحاث العلمية كما تطرقت إلى سبب ظهور المؤلف وقصة شهر زاد مع شهر يار ، وأن الليالي تناولت القصص العربية المتنوعة والتي تنسم بروح الفكاهة والحكمة ، واهتمت بالناحية التعليمية والتهديبية والإرشادات والوعظ . كما تعرضت إلى ترجمة الليالي بكل اختصار . وتستمر الموسوعة الروسية في الإشارة الموجزة جدا إلى الأثر الذي أحدثته على فولكلور الشعوب الآسيوية والأوربية ، وكذلك على الأدب وأن بعض قصص الليالي قد انعكس

(٧) المرجع السابق ، ص . ١١١ - ١١٢ .

(٨) أ. ي. كرميسكي . « تاريخ الأدب العربي الحديث » ، موسكو ، ١٩٧١ ، ص ٧٩ - ٨٣ . (باللغة الروسية) .

(٩) أ. م. فلشتينسكي . « ترجمة مختارات من حكايات ألف ليلة وليلة » من اللغة العربية ، موسكو ، ١٩٧٣ ، ص ٣ - ١٠ . (باللغة الروسية)

(١٠) الموسوعة الأدبية المختصرة ، موسكو ، ١٩٧٢ ، ج ٧ ، ع ٧٠٤ . (باللغة الروسية)

ومن أوائل الأدباء الذين أعطوا جُل اهتمامهم بالمؤلفات الشرقية وبخاصة العربية منها ونقلوها إلى القارئ الروسي في أوائل القرن التاسع عشر تبدو أمامنا شخصية المستشرق الروسي سينكوفسكي الذي صدرت له سلسلة أدبية بعنوان « مجموعة من القصص الشرقية » على صفحات المجلات الأدبية التي كانت تصدر في ذلك الوقت مثل « النجم القطبي » وكذلك « زهور الشمال » وغيرها ، والتي يرجع مصدرها إلى « ألف ليلة وليلة » . فعلى سبيل المثال نشرت قصة « البدوي » عام ١٨٢٢ م ، و « فارس الحصان الأشهب » عام ١٨٢٣ م والتي علق عليها الشاعر الروسي بوشكين « بأنها قصة عربية رائعة (١٢) غير أن كراتشكوفسكي يؤكد أن هاتين القصتين ترجمة من كتاب « أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس » (١٣) ١٦٨٦ / ١١٠٠ للأديب المصري محمد دياب الاتليدي حيث يتضمن كتاب الاتليدي حكايات وقصصاً تعكس الحقبة التاريخية التي تبدأ من بداية خلافة أبي بكر حتى أواخر الخلافة العباسية أيام المعتصم بالله . وإذا ما اعتبرت هذه المؤلفات بمثابة ترجمة عن اللغة العربية فقد استطاع في « البدوية » ١٨٢٧ م و « اللص » ١٨٢٩ م وقصة أخزى عن « عترة بن شداد » ١٨٣٢ م أن يتحرر من الترجمة وصاغ المضمون بأسلوب أدبي يتناسب مع ذوق القارئ الروسي ويقول سينكوفسكي عن قصة « عترة » بأنها « ليست هذه ترجمة من العربية وليست محاكاة لقصة « عترة » العربية ، ولكنه عمل مبتكر يتمتع بروح الشعر العربي » (١٤) وليس من باب الصدفة أن يتأثر

في بعض الأفلام السينمائية الأمريكية مثل : « لص بغداد » ١٩٢٤ م ، « رحلات سندباد السبع » ١٩٥٨ ، « علاء الدين والمصباح السحري » ولم تتناول الموسوعة من قريب أو بعيد تأثير هذا المؤلف على الكتاب الروس .

أثارت ترجمة « ألف ليلة وليلة » إلى اللغات الأوروبية بما فيها الروسية فضول الدارسين وشغفهم للتعرف على الشعوب الشرقية ، فبدأت الزيارات إلى الشرق عامة والبلاد العربية خاصة وأخذوا يدونون في كتبهم عادات وتقاليد هذه الشعوب وكان لهذا أثره السريع فاتجه بعض الكتاب والأدباء إلى تقليد الكتاب تقليداً مباشراً كما فعل تشولكوف في بعض مؤلفاته مثل « الساخر » (١٧٦٦ م - ١٧٦٨ م) و « حكايات روسية » (١٧٨٠ م - ١٧٨٣ م) وفي عام ١٨٧٧ م صدر في موسكو مؤلف أدبي من أربعة أجزاء يكاد يكون مشابهاً لقصص « ألف ليلة وليلة » و « الحكايات العربية في قالب من الشعر » تحتوي على ما يقرب من ٧١٤٦٠ بيتاً من تأليف ف. أ. كازادايف الذي توفي في أواخر الثمانينات من القرن الماضي وقد أشار أ. ي. كراتشكوفسكي إلى أن هذا المؤلف لم يطرح بالأسواق للبيع ، وإنما أهداه إلى أقرب أصدقائه ، ولذلك فإنه لم يدرج ضمن المؤلفات النادرة التي تأثرت كغيرها بألف ليلة وليلة ، وقد اعتمد الكاتب في عمله هذا على ترجمات اللغات الأوروبية المنقولة إلى اللغة الروسية . والجدير بالذكر أن كازادايف كان يشغل منصب محافظ لمدينتي كورسك وتولا في عهد القيصر نيقولاي الأول كما أنه زار الكاتب الألماني جوته في عام ١٨٢٩ م - ١٨٣٠ م (١١) .

(١١) أ. ي. كراتشكوفسكي . (مقالات من تاريخ التهرب في روسيا ، موسكو - ليننجراد ١٩٥٠ ، ص ١٦٠) (باللغة الروسية) .

(١٢) أ. ي. كراتشكوفسكي . (المؤلفات المختارة ، موسكو - ليننجراد ، ١٩٥٥ ، ج ١ - ص ٢٢٥) (باللغة الروسية) .

(١٣) المرجع السابق - ص ٢٣٣ .

(١٤) المرجع السابق ، ص ٢٤٢ .

ولكن سرعان ما أغلقت هذه المجلة بسبب الانتقادات التي توجهها إلى الطبقة الحاكمة . ومن بين الأعمال الأدبية التي كتبها كرييلوف « كعيب » وهي قصة شرقية . . كتبها ليسخر من الحكم المطلق الدكتاتوري السائد في عهد كاترينا قيصرية روسيا والتي تعتبر بحق من أروع ما كتب من أعمال أدبية لما تتمتع به من عبق الشرق ، كما أجمع على ذلك نقاد عصره . ويطل القصة يسمى كعيب ذلك البطل الذي ينطلق وراء تحقيق أحلامه ولا يبالي من المصاعب التي تصادفه . يبدأ الكاتب قصته واصفا كعيب بأن اسمه كان معروفا لدى العالم كله وهو أحد الحكام الشرقيين الذين يتمتعون بالنفوذ والشهرة الواسعة ، وكم من الشعراء وصفوه بالشمس الساطعة والثراء الطائل الذي لا ينضب أبداً . ثم يسترسل كرييلوف في وصف القصر الذي يعيش فيه الحاكم كعيب فبنائه من حجر المرمر الأسود اللون محاطاً بآلاف الأعمدة المرمرية ، وركائزها من الذهب الخالص وأن حوائط القصر رائعة الزخرف ، مصقولة كالمرآة إذا نظر المرء إليها رأى نفسه . . وكانت نوافذ القصر مشيدة على الطراز الإيطالي المعماري الحديث . . كانت أسقف القصر مغطاة برقائق الفضة الخالصة ولذا كان القصر يبدو للناظرين كأنه يتلألأ كاللؤلؤة ، ينهر من يدخله لما فيه من ذهب ودرر وأحجار كريمة وبيغاوات جميلة^(١٥) ورغم هذا الثراء الفاحش والانتصارات الرائعة التي تحققها قواته في الحرب إلا أن كعيبا كان يعاني من الكآبة والملل . في أثناء سرد هذا الوصف يذكرنا الكاتب كرييلوف أن الحاكم كعيب كان واسع الاطلاع وكان يحفظ القرآن وكثيرا ما قرأ مؤلف « ألف ليلة وليلة » بل أنه يحفظه عن ظهر قلب لشغفه الشديد بها ففي قصص

سينكوفسكي بالأدب العربي وينكب على دراسة وترجمة ما يناسب ذوق القارئ الروسي في تلك الفترة بالذات - فترة انتشار التيار الرومانسي . فقد سافر إلى كل من سوريا ولبنان عام ١٨٢٠م وتعرف هناك على مخطوطات الأدب العربي الكلاسيكي ، ويتذكر سينكوفسكي تلك الأيام التي قضاها في لبنان عام ١٨٢٠م فيقول : « في كوخ بسيط بأحد الأديرة المارونية بذلت قصارى جهدي في التعرف على المخطوطات العربية . . ونجحت في نسخ أهم مواردها وقرأت في عجلة ما لم أستطع نسخه . . وفي الوقت الذي قمت بتدوين مقتطفات منها سجلت أروع ما فيها من جمال الوصف^(١٥) وكان سينكوفسكي على اتصال دائم ووثيق بالمستشرقين في أوروبا وبخاصة مدرسة فينا حيث كان يعمل فيها أستاذه اللبناني الأصل أنطوان عريضة أستاذ اللغة العربية ، والذي كثيرا ما ساعد سينكوفسكي في التعرف على المخطوطات العربية . وكان سينكوفسكي دائما ما يذكر فضل أستاذه عليه واصفا إياه بالعالم الفقيه .

من هؤلاء الذين تأثروا بمؤلف « ألف ليلة وليلة » الكاتب الروسي أ. كرييلوف الذي ولد في بطرسبورج عام ١٧٦٩م - وتوفي عام ١٨٤٤م . كان صحفياً وأديباً ودرس العديد من اللغات الأوربية من بينها الفرنسية والإيطالية . توفي والده وهو في العاشرة من عمره وعمل في عديد من الوظائف ليعاون أسرته . كتب أعمالاً أدبية في مجال الأوبرا والمسرح ثم بدأ العمل في مجال الصحافة عام ١٧٨٩م وشارك في إصدار بعض المجلات الشهرية وكان يفضح فيها بطريقة ساخرة أسلوب الرشوة وسرقة الخزائن والفساد . وفي عام ١٧٩٢م أصدر مجلة « المتفرج » والتي نشر على صفحاتها قصة « كعيب »

(١٥) المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(١٦) أ. أ. كرييلوف ، المؤلفات الكاملة ، موسكو ١٩٤٥ ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .

لأن الساحرة أعطت له هذا الكتاب « كي يرى حلما جميلا ولكن هانذا أمعن التفكير في أمور شعبي » (١٧) ولكن سرعان ما أخذ السلطان إلى النوم ورأى الساحرة التي عرضت عليه أن يخرج خلصة في ملابس بسيطة حتى لا يعرفه أحد من أتباعه ، وأن تضع مكانه دمية لها نفس سمات السلطان ووعدهت بأن تقوم هذه الدمية في أثناء غيابه بأعمال بطولية تزيد في نفوس شعبه الجميل والعرقان له .

يصف الكاتب الروسي كريلوف كيف خرج كعيب خلصة دون أن يعلم أحد شيئا عنه ، ورغم صعوبة ووعورة الطريق والمصاعب التي يصادفها في أثناء رحلته إلا أنه يواصل مسيرته ، ويقابل أفراد شعبه ويعايشهم عن قرب ويعرف منهم أخطاء حكمه . . . ففي بادئ الأمر قابل شاعرا عجوزا حيث استرسل في الحديث مع كعيب وأبلغه أن كتابة قصائد المدح لا تؤدي إلى المخاطر ، فكم كتب من قصائد لبعض الوزراء في القصر ولكنهم لم يصدقوا عليه العطاء حيث سُئق أحدهم لأنه كان يحصل على الرشاوي والأخر رغم أنه إنسان طيب إلا أنه لا يتمتع برجاحة العقل .

وفي عتاب الحاكم للشاعر بأنه يمدح الأشخاص بما لا يتمتعون به من صفات حميدة فأجاب الشاعر أن القصيدة إذا ما كتبت في قالب من السخرية والتهمك فسرعان ما تكشف أمر الشخص على حقيقته . كما على الشاعر ألا يصور الأبطال كما هم في الواقع ، ولكن كما يتخيل الشاعر كيّف يجب أن يكونوا . من هذا الحوار يتضح أنه لا يجب على المرء أن يفخر بمدح الشعراء لأنه كثيرا ما يعمي الإنسان عن الحقيقة . ان لقاء كعيب بالشاعر لم يكن محض صدفة وإنما له أهمية بالنسبة لأحداث القصة

الليالي معجزات وخوارق جاءت على لسان شهر زاد (١٧) .

ذات ليلة استطاع السلطان كعيب أن ينقذ فأرا من مخالب قطه المفضل فيتحول الفأر إلى حورية مسحورة حيث تعرض على الحاكم أن تنفذ له أي أمر مهما كان صعوبة تحقيقه لأنه أنقذ حياتها . أعطت الساحرة خاتما للسلطان وأبلغته بأن عليه أن ينقذ ما كتب على هذا الخاتم . في اليوم التالي وجد السلطان مكتوبيا على الخاتم « عليك بأن تسرع وتبحث عن إنسان هو اليوم عدوك ولكنه سيحبك حبا جما ، كما يمكن القول عنه بأنه صديق ولكن في نفس الوقت يكرهك . ذلك الشخص هو الذي يمكن أن يخلصك من اليأس والملل » (١٨) . اجتمع كعيب الخليفة مع وزرائه ليتشاور معهم كيف يتغيب عن الحكم دون أن يعرف الشعب بخروجه ، ووعده وزراءه بأن يصدق عليهم العطاء إذا ما توصلوا إلى رأي سديد بأن يهدي من يتوصل إلى فكرة مثل مجموعة القصص العربية كاملة - ويقصد بها « ألف ليلة وليلة » - ذات غلاف من جلد الغزال وليس هذا فقط بل سيهديه أيضا ترجمة كتاب « كونفوشيوس » الحكيم الصيني المعروف . وفي نهاية الأمر يرفض كعيب مشورة وزرائه . . أخذ كعيب إلى نفسه في حجرة وحيدا يفكر لعله يجد حلا . وفي أثناء إمعانه التفكير وقعت عيناه على كتاب كانت الساحرة قد أعطته له - أيضا - . . بدأ السلطان يقرأ الكتاب فوجد قصيدة مدح لأحد وزرائه كان قد حكم عليه بالشنق لأنه يتقاضى الرشوة . . بعد أن قرأ هذا أخذ كعيب يمعن التفكير وتوصل إلى أنه يجب عليه التريث سواء عندما يجزي العطاء أو عندما يعاقب أحدا . بعد ذلك أخذ السلطان يتحدث إلى نفسه غاضبا

(١٧) المرجع السابق ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(١٨) المرجع السابق ، ص ٣٥٢ .

(١٩) المرجع السابق ، ص ٣٦٢ .

من ناحية ، وتأثر الكاتب كريلوف بالليالي من ناحية أخرى . فكم حوت الليالي من أشعار في مدح الخليفة . ومن المعروف أن الشعراء العرب - دائما - كانوا دعاة للخليفة ولذلك كان على الخلفاء بحكم تعرض الشعراء لهم ولأن على تلك الأشعار التي يكتبونها معاشهم مضطرين إلى إمعان النظر فيما يقال من شعر . بالإضافة إلى أن الأدب عامة والشعر خاصة يعتبر الفن الأساسي دون سائر الفنون الأخرى فلم يكن هناك رسم ولا نحت ولا مسرح . وعندما طلب الخليفة أن يستريح من عناء الطريق أعطى الشاعر له قصاصات من الورق وقال إنها أحسن من ريش النعام الذي ينام عليه الخليفة^(٢٠) واصل السلطان كعيب رحلته بين المراعي والحقول وقابل راعي أغنام . تلك المهنة التي كان يرغب السلطان أن يمارسها إن لم يكن حاكما للبلاد . وفي أثناء الحديث يعرف أنه سعيد بأسرته ولكن زوجته ذهبت إلى المدينة تبني الدجاج والخطب لكي يشتروا ملابس تقيهم من برد الشتاء القارس . تألم الحاكم لما يعانيه أتباعه من الحياة وأنه لم يصدق بعد هذا قول الشعراء الذين يصفون حياة شعبه بالسعادة والهناء . ويستمر الخليفة في رحلته وفي أثناء سيره يتأمل ويفكر ويتساءل . . ها هو يجوب البلاد أكثر من ثلاثة أشهر يسافر ويرحل من مكان إلى آخر ولم تتحقق السعادة بعد التي وعدته بها الساحرة . وما هو ملك البحار واليابس والذي لم يخف أبدا من أحد كاد أن يكون فريسة لذئب جائع في هذا المكان الموحش القريب من المقابر ، حيث وجد حجرا ينام عليه ليستريح قليلا ثم يخرج من جيبه قطعة صغيرة من الخبز والجبن . وهنا الكاتب يؤكد على لسان كعيب أن الإنسان يحتاج إلى شيء بسيط ليسد جوعه ، وليس هناك حاجة إلى البلخ والإسراف ، بعد ذلك يستغرق كعيب في النوم وإذا به يرى أمامه شيخ الإنسان المدفون تحت الحجر الذي ينام

عليه . . أخبره هذا الشيخ غير المعروف الاسم حيث طمس اسمه من على الحجر . كم من انتصارات قد حققها ولكنه في نفس الوقت كان سببا في تعذيب شعبه ، ولذلك منذ مماته وهو يتعذب ولكن بعد مقابلته لكعيب سينعم بالرضاء ويكف عن تعذيب النفس ، حيث سيسدي له بنصيحة ووصية بأن يعمل كل ما في وسعه لإسعاد شعبه لأن سلطة الحاكم تمنحه الفرصة لتحقيق هذا ثم يختفي الشيخ . . يستيقظ كعيب ويواصل رحلته وفي نهاية الطريق يجد كوخا صغيرا . وينبهر الخليفة بجمال الطبيعة التي تحيط بالمكان ثم يرى فتاة رائعة الجمال ولكنها متكدرة الحال إذ تبحث عن صورة لوالدتها المتوفاة . . يبحث الخليفة مع الفتاة سويا عن الصورة المفقودة . . ويجد الخليفة الصورة المفقودة ويعطيها للفتاة ويكون سببا في إسعادها . . تستضيف الفتاة روكسانا والدها الخليفة والذي لم يفصح لها عن حقيقة شخصيته ولكنه أطلق على نفسه جاسان . أحب جاسان روكسانا من أول نظرة لما تتمتع به من جمال رائع ونفس طيبة وبادلتها هي الشعور نفسه لطيبة قلبه وحسن معاملته ولما لمست من نبهه وتواضعه . وفي أثناء الحوار مع روكسانا والدها تبين كرههما الشديد للخليفة كعيب . . وقالت روكسانا لجاسان أنها بقدر ما تكن من حب شديد له بقدر ما تمقت وتكره الخليفة كعيب لأن أحد أتباعه كان سببا في تعاسة ومأساة هذه الأسرة حيث كان والدها يعمل قاضيا وكان يتصف بعدالة حكمه . وذات مرة حكم في قضية كان طرفها أحد أتباع الخليفة ضد رجل بسيط من عامة الشعب وجاء الحكم في صالح هذا الرجل البسيط فما كان من الرجل ذي النفوذ والسلطة أن انتقم من والدها ونزع منه ممتلكاته ، وسطا على منزله وحكم عليه وعلى أسرته بالإعدام ، فأسرع والدها وزوجته والابن إلى الفرار والهرب من هذا البطش

(٢٠) المرجع السابق ، ص . ٣٦٤ - ٣٦٦

ذلك القصر الذي يمتلكه عدرا اليهودي « حيطانه من ذهب وطوبه من فضة » (الليلة ٧٣٧) هذه السمات التي وصفت بها القصور السبعة وكذلك قصر عدرا اليهودي جاءت مكتملة في قصر واحد عند كريلوف مع الإضافة بأن هذا القصر تشيدت نوافذه على الطراز الإيطالي الحديث كي يتناسب مع ذوق وبيشة القارئ الروسي .

إذا كان البطل في كل قصة من قصص الليالي ملكاً أو سلطاناً تقريباً ، كذلك كان البطل في قصة كريلوف الخليفة كعيب الذي ارتبط اسمه دائماً بالحروب محققاً النصر وإن كان وصف الحروب مليء بالمبالغة والخيال . ولم يرتبط وصف الحروب في القصة باسم الخليفة كعيب فقط وإنما ارتبط - أيضاً - بهذا الشبح الذي ظهر للخليفة في أثناء نومه في المقابر . كانت شجاعته خارقة وأخبار حروبه مسلية وتدلل على أنه بطل عادي وكم جاءت في الليالي مثل هذه الشخصيات البطولية مثل شخصية الملك عمر النعمان في « حكاية الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان » في الليلة ٥٩ حين تصف شهرزاد الملك عمر النعمان « كان من الجابرة الكبار قد قهر الملوك الأكاسرة والقياصرة » .

وشخصية الخليفة كعيب تذكرنا بهارون الرشيد الذي يحتل جزءاً كبيراً من قصص « ألف ليلة وليلة » ففي أول قصة يصف كريلوف الخليفة كعيب وهو يرتدي الملابس الفاخرة . وكم مدحه الشعراء فأغدق عليهم العطاء كما هو الحال في عصر هارون الرشيد .

ومن الملامح التي تذكرنا « بألف ليلة وليلة » في قصة كريلوف هروب الخليفة كعيب متكرراً في شخصية رجل بسيط ، ذلك في أثناء مقابلاته مع بعض الأشخاص يتعرف على أخطاء حكمه وعذاب الفقراء والمعدمين من رعيته ويأمر باقامة العدل ومجازاة الخير بالخير والشر بالشر

والظلم . لم تتحمل الأم الكارثة وماتت من الصدمة . أما الأب والابنه فواصلوا الهروب في الصحراء وعاشا في هذا الكوخ . . . عرف جاسان الحقيقة وإذا به يثور وتنتابه حالة من الذعر وتعتقد الأسرة أنه قد أصابه الجنون ، وسرعان ما يعود كعيب إلى قصره ويرسل رئيس الحاشية لاستدعاء الوالد والابنة روكسانا إلى القصر ولأول مرة يعرفان الحقيقة وهو أن جاسان هو الخليفة كعيب الذي أعاد للقاضي العادل ممتلكاته وفجأة تظهر الساحرة قاتلة : هكذا تعرفت في أثناء رحلتك الطويلة هذه على أشياء كثيرة عن حال شعبك وما هي السعادة تعود لك وتتخلص من الملل والكآبة ويتزوج الخليفة كعيب من روكسانا

بالقاء الضوء على مضمون قصة « كعيب » للكاتب الروسي كريلوف من الممكن أن نلاحظ أثر الليالي فيها . ومن بين الخصائص الفنية لقصص الليالي التي تأثر بها كريلوف كثيرة فعلى سبيل المثال نجد بعض الألفاظ والمصطلحات والتعبيرات التي تتصل بالحضارة العربية والإسلامية مثل القرآن ، الخليفة ، سلطان ، قاضي ، مفتي ، شهرزاد ، ديوان ، الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، حريم ، سراي كذلك تأثر الكاتب بالصور العديدة التي كشفت عنها الليالي عن حياة الشرق والتي تصور بدخ القصور التي استوحى مصدرها من عهد هارون الرشيد فها هو كريلوف يصور بدخ وثرأ القصر الذي يعيش فيه الخليفة كعيب يساعده في وصفه الخيال الواسع المرتبط ببساطة الشرق وسحره . ويذكرنا قصر كعيب هذا بذلك الملك الذي بنى لابنته سبعة قصور « القصر الأول من البلور ، والقصر الثاني من الرخام والقصر الثالث من الحديد الصيني والقصر الرابع من الجزع والفصوص والقصر الخامس من الفضة والقصر السادس من الذهب والقصر السابع من الجواهر » وذلك كما جاء في الليلة ٢٠٨ أو

النهاية بإحقاق الحق ومجازاة الخير بالخير والشر بالشر إلى أن يسود العدل دائما .

وكما جاء في الليالي كيف كان يتنقل هارون الرشيد بين الرعية ، الذي كان آية في العدل ويسهر على مصالح رعيته . ويسافر كعيب ويتنقل بين الرعية ويتعرف على أمورهم التي كانت ستظل خافية لو مكث وراء جدران قصره ، بل ويحسن معاملة الفقراء ويساعدهم . فما كاد يعرف قصة القاضي وابنته روكسانا حتى فتح أمامهم الأبواب إلى العز والثراء بعد ما كان القاضي يهرب من بطش أتباع الخليفة وبعد أن تنكرت له الدنيا .

وكما جاء في « ألف ليلة وليلة » كيف تساعد الساحرة إنسانا عرفانا بجميله فما هو الفأر تحول إلى ساحرة بعد أن أنقذه كعيب من القط ويحفظ له الجميل ويصبح طوع أمره ويظل وفيّاً له إلى أن يفوز بالسعادة ويتعد عن الكتابة .

قبل إلقاء الضوء على تأثير مؤلف « ألف ليلة وليلة » على كاتب آخر من الكتاب الروس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ونقصد به الكاتب الروسي المعروف ليف تالستوى (١٨٢٨ - ١٩١٠) نود أن نشير إلى المكانة العظيمة التي احتلها ليف نيقولا يفتش والتي لم يبلغها أديب آخر داخل أو خارج روسيا . وقد أطلق عليه لقب القيصر الثانى لروسيا أو القيصر غير المتوج . وقد كتب أحد الصحفيين في يومياته يقول :

« ان في روسيا يوجد قيصران أحدهما نيقولاى الثانى أما الآخر فهو ليف تالستوى » . ثم يطرح الصحفي تساؤلا : فمن منها أقوى ؟ إن القيصر نيقولاى الثانى لا يستطيع أن يفعل شيئا مع تالستوى كان يهز عرشه في الوقت الذى يستطيع فيه تالستوى ، دون أدنى شك ، ان يهز عرش نيقولاى الثانى . . . فليحاول أحد أن يمس تالستوى ستجد العالم كله يصرخ ، أما الإدارة الحاكمة فستتحمل عواقب ما فعله » .

عند عودته إلى القصر ، غير أن هارون الرشيد في الليالي لم يخرج وحيدا وإنما كان في صحبة وزيره الخاص جعفر البرمكي ومسور السيف ويعتبر هذا تشابها أساسيا يذكرنا بأسلوب ومعاملة هارون الرشيد كما يحكي التاريخ من قصص عنه والتي تصورها الليالي عن جولات هارون الرشيد متنكرا يتفقد أمور رعيته ، كما جاء في قصة الجمال والثلاث بنات (الليلة ٩) وقصة محمد علي بن علي الجوهري (الليلة ٣٢١) . وقد لعب الفأر في قصة « كعيب » دوراً مهماً في تطور أحداث القصة فيتحول إلى ساحرة فترشد وتنصح حتى تصل بالخليفة إلى ما أرادته من خير وتقدم له العون للشفاء من الملل والكتابة ، وتضيف إلى القصة عناصر الطرافة مما تزيد من قيمتها الفنية والليالي بها العديد من موضوعات السحر والخوارق وقصص الحيوان الذي يلعب فيه دور المعلم أو الواعظ ، وتتغنى الليالي بالحب العذري . وكذلك يتحمل الخليفة كعيب كثيرا من الصعوبات والأهوال في سبيل تحقيق سعادته ليتخلص من الملل والكتابة رغم أن قصره مليء بالجوارى والحريم إلا أنه لا يسعد بحياته هذه ، ولكن في لقائه الأول مع روكسانا كان لقاء حب لأول وهلة فقد أحبها كعيب من أول نظرة ، فكم هي جميلة تذكرنا بحكاية هارون الرشيد في (الليلة ٦٥٦) عندما قابل الفتاة العربية وأعرب عن سحرها . مما تقدم من الممكن أن نلاحظ تأثر الكاتب الروسي كريلوف بقصص (ألف ليلة وليلة) وأن قصة « كعيب » مليئة بالطابع الشرقي حيث يلمع أصداء الأسلوب الشرقي والخيال وقصص الفانتازيا وتصوير عالم السحر الخارق الذي حظيت به الليالي . كذلك نجد أن حياة الخليفة كعيب الشخصية هي مصدر أحداث القصة . والقصة اعتمدت على حوادث كثيرة ، ورغم كثرتها جاءت مسلسللة وأن هذه الأحداث التي جرت وتلك العجائب التي نتابعها إلى آخرها تأتي في

بعد أن انتهى ليف تالستوى من كتابة روايته « الحرب والسلام » وفي بداية عام ١٨٧٠ م انشغل قليلا عن كتاباته الأدبية واهتم بتأليف كتب ليس الغرض منها فقط تعليم الصغار ، ولكن كذلك لتمخو أمية الكبار ، واهتم بقضية التعليم الشعبي ودأب على وضع برنامج جديد للتعليم ، اذ كان يأمل في تغير طريقة التدريس وتربية روح شاعرية عند الأطفال وافتتح بصدد هذا الشأن مدرسة بضيعته الخاصة في ياسنايا باليانا في عام ١٨٤٧ م . ولدواعى سفره الى القوقاز أغلقت المدرسة في عام ١٨٥١ م ، وفي عام ١٨٥٩ م أعيد فتحها وكان تلاميذ المدرسة من أولاد الفلاحين . وإذا كان كتاب « مبادئ القراءة » الذى وضعه في عامى (١٨٧١ م - ١٨٧٢ م) قوبل بالرفض من قبل السلطات المختصة لاستخدامه الألفاظ الشعبية تلك السمة التى كان يعتبرها ليف تالستوى أساسا لعمله فلم ييأس وأخرج كتابا آخر جديدا لمبادئ تعليم القراءة في عامى (١٨٧٤ - ١٨٧٥ م) وأضاف اليه أربعة كتب أخرى للقراءة العامة والاطلاع ، وقد تضمنت العديد من الحكايات الروسية والعالمية التى تتضمن القيم الدينية والأخلاقية والعلمية وكذلك الخيالية . ولم يتوقف الأمر على وضع برنامج للتعليم أو تأليف كتب ، وإنما شارك في تدريس مواد مختلفة لتلاميذه بالمدرسة مثل تعليم حروف الهجاء والحساب والدين والتاريخ والجغرافيا . وقد أدى اهتمامه بقضية التعليم الى القيام بجولة لزيارة العديد من دول أوروبا للوقوف على ماهو جديد في هذا المضمار وعند تأليفه كتبه هذه كان لزاما عليه أن يتخلى عن التحليل النفسى وعدم الاسهال والاستطراد وطابع الاطناب وأن يتحرر من الجمال الطويلة ، ويصدد هذا الشأن كتب يقول في عام ١٨٧٢ م « ان تأليف كتاب « مبادئ القراءة » من

استطاع ليف تالستوى من خلال أعماله الفنية أن يصور أهم الأحداث في روسيا منذ بداية القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين . فقد كان رواييا ، ومؤلفا للمسرح وقاصبا ، وكاتبيا للمقالة وناقدا ، وفيلسوبا ومصالحا دينيا . فمن أهم مبادئه أن يتسلح الانسان بالايمان وأن تغير المجتمع الى الأحسن والوصول به الى الكمال لا يتحقق بمجاهة العنف بالقوة وإنما بالتمسك بالدين الذى لايزال هو أساس المجتمع .

التحق ليف تالستوى في عام ١٨٤٤ م بجامعة قازان ، حيث كان يقيم عند عمته ، بقسم اللغات الشرقية . لم يستمر طويلا بالدراسة فيه ثم تركه والتحق بكلية الحقوق . اهتم ليف تالستوى منذ بداية حياته بدراسة الثقافات المختلفة وبخاصة الثقافة العربية الاسلامية التى تلعب دورا كبيرا في اقامة وتطوير مجتمع تسوده العدالة والمحبة . كان ليف تالستوى يثقف نفسه بالاطلاع الواسع والقراءة لكثير من المؤلفات الأوربية فعلى سبيل المثال قرأ مؤلفات جوته وشيلر وسيرفانتس وديكنز وتأثر بجان جاك روسو . كما قرأ ترجمة القرآن الكريم التى قام بها كرمسكى وكذلك مؤلف « ألف ليلة وليلة » وتضم مكتبة ليف تالستوى بعض الكتب الخاصة بتاريخ حضارة الشرق والدولة البابلية والآشورية ، وكذلك عن الأدب العربى والفولكلور التى كان قد تم طبعها في روسيا في هذا الوقت أو كانت مترجمة من اللغتين الانجليزية والفرنسية . كذلك اهتم تالستوى بأعمال وكتب المفكرين العرب القدماء ومن بين من اهتم بأعماله العالم والشاعر المعروف الحريرى (١٠٥٤ - ١١٢٨) وقد جاءت بعض أقوال الحريرى ضمن كتاب ليف تالستوى بعنوان « أفكار الحكماء كل يوم » (٢١)

(٢١) أ. أ. شهبان . ليف تالستوى والشرق ، موسكو ، ١٩٦٠ ، ص . ٤٤٤ - ٤٤٥ (باللغة الروسية)

الممكن أن يمتد العمل به مئة عام لاعداده . . . فيجب على أن أكون على علم بالأدب اليونانية والهندية والعربية وأن أكون على معرفة - أيضا - بالعلوم الطبيعية كالفلك والطبيعة ويتحتم عليّ أن أقوم بعمل مضمّن تجاه لغة الكتاب حتى يكون كل شيء جميلا ومختصرا وبسيطا وأهم من ذلك ان يكون واضحا» (٢٢).

اهتم ليف تالستوى بالعالم العربي وحاول أن يوطد علاقاته بعلمائه وبعديده من مواطنيه البسطاء ، فعلى سبيل المثال ، تبادل الرسائل مع الشيخ الامام محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) عن طريق الفنان الانجليزي سيدني كوكويل (٢٣) وقد رد عليه تالستوى في رسالة بتاريخ ١٣ مايو ١٩٠٤م حيث أُعرب عن سعادته لاتصاله بأحد المنورين العرب وأبلغه اتفاقه مع تلك المبادئ الدينية والأخلاقية التي ينادى بها . ولكن الشيخ محمد عبده لم يرد على رسالة تالستوى حيث وافته المنية .

وعندما بدأ يكتب كتاب القراءة للأطفال استوحى من الفولكلور والملاحم وكذلك من قصص « ألف ليلة وليلة » بعض الموضوعات التي تعكس معتقدات الشعب وعاداته الدينية ، وتصور مظاهر حياة الشعب الاجتماعية منذ الطفولة الى الموت . كذلك لما تتضمن من حكم ومواعظ البسطاء من عامة الشعب وتدعو الى الخير والصدق والأمانة والجمال والى التمسك بالقيم والمثل الأخلاقية وتندد بالشر والظلم . وهى تلك المبادئ التي تصدى لها ليف تالستوى في كتاباته وعكست نزعة الانسانية . وحبه للخير ليسود بين الناس ومحاربة الشر والظلم على الأرض . ولذا تجلت عبقرية تالستوى كأديب ومرّب ومصلح اجتماعى في كتاباته للأطفال ، ولاغرو أن يكمن الخير والصدق والأمانة في مضمون أعماله هذه والتي كانت محور تفكيره وأساس فلسفته في رواياته الأخرى .

كانت هناك رسائل متبادلة مع مواطنين آخرين مثل ذلك الصحفى الذى يرجو من تالستوى أن يترجم الى اللغة العربية رواية « انا كارينينا » وذلك بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٠٨م (٢٤) كذلك كانت هناك رسالة متبادلة بين ليف تالستوى واحدى المواطنين السوريات التي درست في موسكو وعادت الى وطنها تطلب منه أن تنشر معلومات عن حياته وترجمة مؤلفاته ومرسل هذا الخطاب في ١٠ أكتوبر ١٩٠٤م . (٢٥)

من بين هذه الحكايات حكاية « الملك والقميص » والتي اعاد صياغتها . تروى الحكاية عن مرض أحد الملوك والذي وعد بأن يعطى نصف مملكته لمن يداويه . اجتمع الحكماء وقال أحدهم اذا وجدوا شخصا سعيدا ،

والحق أن ليف تالستوى اهتم بالثقافة العربية وآدابها وكذلك بالفولكلور وقرأ في طفولته المبكرة « ألف ليلة وليلة » بحماسة ، وكتب يشير كيف أثرت عليه قصص « ألف ليلة وليلة » وبخاصة قصة « علي بابا والأربعين

(٢٢) ل . ن . تالستوى . المؤلفات الكاملة ، موسكو ، ١٩٥٣ ، ج ٦١ ، ص ٢٨٣ (باللغة الروسية) .

(٢٣) أ . أ . شيفمان . ليف تالستوى والشرق ، موسكو ، ١٩٦٠ ، ص ٤٣٥ . (باللغة الروسية) .

(٢٤) المرجع السابق ، ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٢٥) المرجع السابق ، ص ٤٣٦ - ٤٤٠ .

(٢٦) التراث الأدبى « ليف نيقولا يفيتش تالستوى » ، موسكو ، ١٩٣٩ ، ج ٣٧ - ٣٨ ، ص ٤٦٠ (باللغة الروسية) .

الجماهير ثائرة ، وما إن شهدت الجماهير الوزير حتى التفت حوله ، وأوقفت جواده واخذت تتوعده بقتله إذا لم يلب مطالبها ، تجاسر شخص ما وأمسك بلحيته وجذبها . عندما سمحوا للوزير بالذهاب ذهب الى كسرى وطلب منه أن يساعد الشعب ولا يعاقبه ازاء اساءته له . في صباح اليوم التالي ذهب الى الوزير صاحب دكان فسأله الوزير : « ماذا تريد ؟ » قال صاحب الدكان : « لقد أتيت أفشى سر ذلك الشخص الذى أساء اليك بالأمس . . انى أعرفه . إنه جارى واسمه ناجيم . أرسلت له لياتوا به اليك لتعاقبه » أذن الوزير لصاحب الدكان بالانصراف . وأرسل لاحضار ناجيم . حَمَّن ناجيم أن أحدا ما قد بلغ عنه . وما أن ذهب الى الوزير ما بين الحياة والموت من الخوف إلا وركع عند قدميه . شده الوزير ورفعته الى أعلى وقال له : « انى لم أرسل اليك لكى أعاقبك ولكن لكى أقول لك أن لديك جارا ليس أمينا . لقد أفشى سرى . فاحترس منه . اذهب في رعاية الله » (٢٨)

نجد هنا أن ليف تالستوى استخدم الألفاظ العربية مثل وزير ، عبد الله بالإضافة إلى الموعظة غير المباشرة وهى حسن اختيار الصديق والجار وأن يكون على خلق كريم .

إن الیسمة المميزة لقصص الأطفال لدى ليف تالستوى هى إظهار الشجاعة والأمانة والعدل ، وإلى جانب هذا يستخدم تالستوى الأسلوب السهل ويتعد عن المغالاة والتصنع ولذا جاء تصويره صادقا . وقد ظهر هذا واضحا في حكاية « القاضى العادل » التى تتلخص في أن أميراً جزائريا يسمى بوكاس ، أراد أن يتعرف بقاض عادل في مملكته ، تكون لديه القدرة على معرفة الحقيقة على الفور ولا يستطيع أى غشاش أن يهرب من

وخلعوا قميصه وألبسوه للملك فسيشفى الملك على الفور . . « سافر أتباع الملك في جميع أنحاء المملكة ولكنهم لم يعثروا على انسان واحد سعيد . فلم يكن هناك شخص واحد راض بكل شيء . . فإذا كان هناك شخص غنى لابد من أن يكون مريضا وان كان هناك من بصحة جيدة فإنه فقير . وإن كان هناك غنى ومعاق كانت زوجته معيبة أو أولاده من السيئين . كل يشتكى من شيء ما . . وذات مرة كان ابن الملك يسير بالقرب من منزل فلاح بسيط وترامى الى سمعه أن شخصا يقول : « الحمد لله لقد عملت بما فيه الكفاية وأكلت حتى الشبع والآن سأذهب وأنام . . ماذا أريد أكثر من هذا ؟ . . فرح ابن الملك وأمر أتباعه بأن يخلعوا قميص هذا الشخص ويعطوه من النقود كل ما يريد ويرسلوا القميص الى والده الملك . وصل أتباع الملك الى الانسان السعيد وحاولوا أن يخلعوا قميصه ولكن هذا الانسان السعيد كان فقيرا جدا للدرجة انهم لم يجده يتردى قميصا » . (٢٧)

هكذا جاءت حكاية « الملك والقميص » قصيرة ومبسطة ومفهومة ومسلسلة الأحداث وأن - الموعظة التى أراد أن يصورها تالستوى جاءت في نهاية الحكاية ، إذ أن ليف تالستوى أبرز أن « هذا الشخص السعيد كان فقيرا جدا للدرجة أنه لم يجده يتردى قميصا » . هكذا أوضح ليف تالستوى أن الشخص البسيط المحب للعمل رغم أنه فقير ليس لديه القميص . إذ أن السعادة ليست في النقود ولا بالمناصب ، إنما السعادة في العمل ولن يعمل .

مثال آخر - حكاية « الوزير عبد الله » وتروى أن لدى كسرى فارس وزيرا عادلا يدعى عبد الله . وذات مرة في أثناء ذهابه الى كسرى مارا بالمدينة تجمعت

(٢٧) ل . ن . تالستوى . « مجموعة مؤلفات من عشرين جزءا » ، موسكو ، ١٩٦٣ ، ج ١٠ ، ص ١٨٣ (باللغة الروسية) .

(٢٨) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

وحنكة فأتضح أنها تعودت أن تقوم بهذا العمل وأن هذا ليس بغريب عنها . ولو كانت زوجة الفلاح لما استطاعت أن تقوم بهذه المهمة . وبناء على ذلك تكون زوجة العالم . وبشأن القضية الثانية : وضع القاضى النقود في كوب من الماء فلم يظهر زيت على سطح الماء ، فإذا كانت تخص بائع الزيت فلا بد أن يكون بها آثار زيت من يد البائع . ولكن لم يظهر زيت على سطح الماء ولذا فالجزار على حق في دعواه . أما بالنسبة لك وللشحاذ الأعرج فعندما طلبت منكما أن تتعرفا على الجواد من بين العشرين حصانا فتعرف كل منكما عليه ولكن عندما اقتربت أنت من الجواد تلفت الحصان برأسه ومدها نحوك وحينما لمسه الأعرج بيده تضايق الحصان ورفع رجله عن الأرض وبذلك عرفت أنك صاحب الحصان الحقيقي . بعد ذلك أخبره التاجر بأنه ليس تاجرا وإنما هو الأمير بوكاس جاء ليعرف حقيقة ما يقال عن القاضى بأنه عادل وطلب منه أن يطلب ما يشاء وأن الأمير سيلبيه في الحال . إلا أن القاضى قال : انى لست بحاجة الى عطايا . فأنا سعيد بأن الأمير قد تأكد من عدالتى . . .

وامتدحنى . (٢٩)

ما من شك أن قصة « القاضى العادل » خضعت الى تأثر ليف تالستوى بقصص « ألف ليلة وليلة » فأهم ما تتسم به حكايات بغداد تلك الصفة وهو أن الشخصية الرئيسة كانت الخليفة الذى كان ينتكر في زى تاجر ويجول في المدينة حتى يتعرف على أحوال رعيته . وها هو الأمير بوكاس الجزائرى ينزل من عرشه ويتفقد أحوال شعبه ليتعرف على القاضى العادل الذى يحكم بالعدل . وكم هو يتمتع بذكاء وحنكة في عمله . ونستطيع أن نتبين التشابه بين هذه الحكاية وكذلك حكايات « ألف ليلة وليلة » بما تتمتع به من ابراز الفضائل الانسانية والتى

قصاصه . تنكر الأمير في زى تاجر وامتطى حصانه نحو المدينة وفي طريقه اقترب منه شحاذ أعرج وطلب منه صدقة ، فتصدق عليه ، أراد الأمير أن يواصل رحلته إلا أن الشحاذ قد تشبث برداء الأمير وطلب منه أن يأخذه معه الى المدينة ، وما أن وصلا اليها رفض الشحاذ أن ينزل من على ظهر الحصان وادعى أن هذا حصانه . ذهب الى القاضى ليحكم بينهما وفي أثناء وجودهما في المحكمة استمعا الى قضيتين : الأولى يدعى فيها رجل من رجال العلم وأحد الفلاحين . أن المرأة التى تقف أمام القاضى - زوجة كل منهما فأمرها القاضى بأن يحضرا في صباح اليوم التالى ليعرفا حكمه . أما القضية الثانية : جاء الى المحكمة جزار وبائع زيت وكان الجزار يسك بتقود في يده ، أما بائع الزيت فقابض بيديه على يد الجزار التى بها النقود ويدعى كل منهما أن هذه نقوده . بعد أن سمع القاضى شكواهما طلب منهما أن يتركا النقود ويحضرا في اليوم التالى . بعد ذلك استمع الى حكاية الأمير المنتكر في زى تاجر والرجل الشحاذ الأعرج فأمرهما بأن يتركا الحصان ويحضرا في اليوم التالى . وفي اليوم التالى اجتمع حشد كبير من الناس للاستماع الى حكم القاضى . في القضية الأولى أمر القاضى بأن يأخذ العالم زوجته ، أما الفلاح فيضرب بالعصا خمسين مرة . وفي القضية الثانية أعطى القاضى النقود للجزار وأمر أن يعاقب بائع الزيت بالضرب خمسين ضربة بالعصا . أما بالنسبة للأمير بوكاس والشحاذ الأعرج فأمر أن يأخذ التاجر الحصان . أما الشحاذ الأعرج فيضرب بالعصا خمسين مرة . تعجب الأمير المنتكر من قرار القاضى وذهب يسأله كيف توصل الى تلك الأحكام . فأبلغه بالنسبة لزوجة العالم والفلاح : لقد دعوتها تسكب الحبر في المحبرة فقامت بتنظيفها ثم صببت الحبر فيها بسرعة

« لقد كافأت الصقر بسوء الجزاء . ففي الوقت الذي كان ينقذ فيه حياتك قتلته . (٣٠) »

هذا مضمون الحكاية عند ليف تالستوى . أما في الليالي فاختلف المضمون بعض الشيء . فعلى سبيل المثال : كان الملك فارسيا . وأنه أطلق الباز وراء غزالة . وأن الباز لطش الغزالة على عينيها إلى أن أعماها ودوخها فسحب الملك دبوسا وضربها . . كانت ساعة حر والمكان قفرا لا يوجد فيه ماء فعطش الملك وعطش الحصان . . الماء كان ينزل من شجرة مثل السمن . في بداية الأمر بعد أن امتلأت الطاسة وضع الملك الماء قدامه وإذا بالباز لطش الطاسة فقلبها . . عندما امتلأت الطاسة مرة ثانية وضعها الملك أمام الباز فلما منه أن الباز عطشان فلطشها ثانيا . . فغضب الملك ، وعندما امتلأت الطاسة ثالثا قدمها للحصان فقلبها الباز بجناحيه . . ثم ضرب الملك الباز بالسيف . . فصار الباز يقيم رأسه يقول بالإشارة أنظر الذي فوق الشجرة فرفع الملك عينه فرأى حية والذي يسيل هو سمها . فندم الملك وصاح حزنا وأسفا على قتل الباز . (٣١)

من الواضح أن مضمون هذه الحكاية من قصص « ألف ليلة وليلة » ولكن ليف تالستوى قام بتلخيصها وحذف بعض التداخل في الحدث الرئيس . وأن ليف تالستوى اهتم في نهاية الحكاية بتوضيح الغاية . فإذا كان الملك في الليالي « حزن وأسف على موت الباز » فإن ليف تالستوى أكد سوء فهم الملك للصقر ورغم الصقر له إلا أنه قتله قائلا « لقد كافأته بسوء الجزاء . ففي الوقت الذي كان ينقذ حياتك قتلته » . وفي نفس الوقت حافظ تالستوى على غاية القصة .

استنادا إلى الأمثلة التي استشهدنا بها والتي تكشف عن تأثير الكاتب الروسي ليف نيقولا يفنتش تالستوى

لا تكاد تتغير على اختلاف البيئات وأهمها الحق والوفاء والصراع بين الخير والشر والنور والظلام . والواضح - أيضا - أن الباعث لكتابة تالستوى لهذه الحكايات محاولة منه للتغلب على تناقض المجتمع ومقاومة الانحراف والتسلط فالعدل يجب أن يكون أساس المجتمع .

وهناك مثال آخر عن إعادة صياغة حكاية « الملك والصقر » وهي نفس الحكاية التي جاءت في الليلة « (٥) » من « ألف ليلة وليلة » حيث تمحى أنه ذات مرة في رحلة صيد كان يقوم بها الملك وقد أطلق وراء الأرنب صقره المفضل والمحبوب لديه . أمسك الصقر بالأرنب ثم أخذ الملك الأرنب من الصقر وذبح يبحث عن مصدر للماء ليشرب . عثر الملك على مصدر للماء في أعلى التل ، ولكن كان الماء يسقط قطرة قطرة . وجد الملك في سرج الحصان كأسا فوضعه تحت مصدر الماء . كان الماء يتساقط ببطء قطرة قطرة وعندما امتلأ الكأس بالماء رفع الملك الكأس إلى فمه وأراد أن يشرب وفجأة انتفض الصقر على يد الملك وضرب بجناحيه الكأس وألقى بما في الكأس من ماء . وضع الملك الكأس مرة أخرى تحت مصدر الماء وانتظر طويلا حتى امتلأ بالماء إلى حافته وعندما بدأ يرفع الكأس مرة أخرى إلى فمه ، انتفض الصقر وسكب الماء . في المرة الثالثة عندما بدأ الملك برفعه نحو شفثيه سكب الصقر الماء مرة أخرى . غضب الملك ورمى الصقر بكل قوته بصخرة فقتله وسرعان ما اقترب خدم الملك وأسرع أحدهم وصعد إلى ينبوع الماء حيث الماء وفير ويمكن ملء الكأس بالماء بسرعة للملك . لم يُحضر الخادم الماء - أيضا - وعاد بالكأس فارغا وقال للملك « هذا الماء من المستحيل شربه حيث يوجد هناك عند ينبوع ثعبان أطلق سمه في الماء » فقال الملك :

(٣٠) المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٣١) ألف ليلة وليلة « دار التوثيق للطباعة والنشر والتوزيع » ، بيروت ، ١٩٨١ ، « الليلة الخامسة » ، ص ١٩ - ٢٠ .

وليلة « قد أثرت على تفكيرى بصورة ايجابية عندما كنت أصغى لجدتي وهي تقصص علىّ هذه الحكايات . . لقد قرأت هذه الحكايات العربية وأنا لم أبلغ من العمر الثانية عشرة بعد . . وإنى على يقين تماما بأن التعرف على هذه الحكايات خاصة وعلى كنوز الابداع الشعبى يعتبر بالدرجة الأولى مفيدا خاصة بالنسبة للكتاب الشبان المبتدئين « ويضيف مكسيم جوركى أن هذه الحكايات « تساعد على تطور خيال الكاتب وتحتم عليه ان يضع نصب عينيه قيمة الخيال بالنسبة للفن . . والأهم أن هذه الحكايات تثرى الحصيلة اللغوية . . وإنى إذ أحيى « الأكاديمية » لاصدارها هذه الترجمة لقصص « ألف ليلة وليلة » نقلنا عن العربية اذ تعتبر من أهم الأعمال الثقافية التى قام بها المترجم . « (٣٢)

وهكذا سيظل مؤلف « ألف ليلة وليلة » مادة غنية لا تنضب أبدا ، تساعد المؤلفين على الخلق والابداع اذا اعتمدوا جل الاعتماد عليه سواء بالتأثر المباشر أو في اعادة صياغة الكثير منها بما يتفق مع الكاتب بأسلوبه الفنى . وأنها كانت ولا تزال مصدر وحي وإلهام للكتاب والأدباء على مر السنين .

بقصص « ألف ليلة وليلة » فإن مضمون هذه الأعمال بالدرجة الأولى يظهر المثل الأخلاقية والمعتقدات الدينية ، والمواظب والوفاء والصدق والعدل ، تلك المبادئ التى تتمسك بها الشعوب على مدى عصور التاريخ المختلفة التى حظيت بها الليالى .

ولا يفوتنا هنا أن نشير الى أن المستشرقين دائما يؤكدون كيف أثرت الأعمال الأدبية عامة ومؤلفات داستايفسكى ، وتالستوى ، وتشخوف خاصة على الكتاب العرب على الرغم أن التعرف على الأدب الروسى لم يتم إلا في أواخر القرن الماضى وأصبح واضحا الآن بعد هذه الدراسة كيف أثرت « ألف ليلة وليلة » على الكتاب الروس في مؤلفاتهم منذ بداية القرن التاسع عشر . فلم يكن الغرب هو الذى أثر في الشرق . فقد كانت البداية هو تأثير الشرق في الغرب وفي العصر الحديث لا يزال الكتاب في روسيا يشيدون بمؤلف « ألف ليلة وليلة » فها هو مكسيم جوركى قد تعرف على « ألف ليلة وليلة » التى كانت من بين الأعمال الأدبية الخالدة التى قرأها وقال عنها : « بالنسبة لى شخصا علىّ أن أعترف بأن حكايات « ألف ليلة



(٣٢) كتاب ألف ليلة وليلة ، من ثمانية أجزاء ، ترجمة من اللغة العربية ، لبيتجراد ، ١٩٥٨ ، ج ١ ، ص ٥ - ٨ . (باللغة الروسية)